المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث
العدد الثالث - المجلد الأول
ديسمبر 2015 م
ISSN: 2518-5780

المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث
Arab Journal of Sciences & Research Publishing
AJSRP

التّأثّر والتّأثير في شعر القاضي عمر إبراهيم

محمّد خامس محمّد
محاضر بكلّيّة المنار كدونا
معهد التّربية || جامعة أحمد بلّو || زاريا نيجيريا

الملخّص: قضيّة التّأثّر والتّأثير معروفة في جميع مظاهر الحياة الإنسانيّة، والبيئة المحيطة بالشّاعر من تلك المؤثّرات الّتي لها دور بارز في تشكيل شعره. ولا تختلف بيئة الشّاعر النّيجيريّ عن سائر البيئات الّتي في غرب إفريقيا من حيث الدّين والثّقافة، فالشّاعر القاضي عمر إبراهيم من الشّعراء النّيجيريّين الّذين تأثّروا بالثّقافة الغربيّة تأثُّرًا كبيرًا، حتَّى لا تكاد تقرأ له قصيدة إلاّ وتشَمّ رائحة الحضارة الغربيّة فيها، فهو بحقّ من روّاد التّجديد الشّعريّ في غرب إفريقيا لأنّه حاز قصَب السّبْق في تناول المخترعات الحديثة بالشّعر من جانب تطرّقه للمجالات التّكنولوجيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، كما أنّه تأثّر بالدّين الإسلاميّ الّذي هو الرّائد في بيئته. وتهدف الورقة إلى بيان ملامح هذه الظاهرة الّتي عَمِلَتْ في الشّاعر من حيث إنّها من المؤثّرات القويّة في اصطباغه بالشّعر ونبوغه فيه. وقد بدأ المقال بمقدّمة وترجمة وجيزة عن الشّاعر، ثمّ تكلّمت عن قضيّة التّأثّر والتّأثير الّتي شكّلتْ تجربته الشّعريّة، ثمّ الخاتمة والهوامش والمراجع.

المقدّمة

معلوم أنّه يُعدّ الشّعر العربيّ أحدَ قنوات التّواصل الهامّة للتّعبير عن أخبار الأمم وثقافاتها وفنونها وآدابها وتاريخها وأيّامها حربًا وسلمًا. ولم يكن للعربيّ المعاصر أن يعرف أسلوب المدح والرِّثاء والغزل والهجاء إلاّ عن طريق ديوان الشّعر العربيّ الجاهليّ الّذي وصل إليه منذ خمسة عشر قرنًا من التّاريخ. وقد حَظِيَتْ قضيَّة التّأثّر والتّأثير أهمّيّة بالغة لدى نقّاد الأدب العربيّ حتّى عُدَّ فنًّا من فنون النّقد الأدبيّ المقارن؛ وذلك لأنّ الأدب عمليّة تراكميّة لها نقطة البداية والنّهاية والانطلاق والاستمرار نتيجة تعاقب الزّمان وتغيّر المكان جيلاً بعد جيل، الأمر الّذي جعل التّأثير شأنًا لازمًا ومطلوبًا في الحياة. ويصدر التّأثّر أصلاً من المنشئ حسَب ثقافته وبيئته، إذ الإنسان لا يؤثّر في غيره إلاّ بعد تأثّره وتفاعله بالعوامل الخارجيّة، فإذا تهيّأتْ له الظّروف استطاع التّأثير في السّامع والقارئ بتجربته الشّخصيّة ومهاراته الخاصّة، فيتمكّن من خلق صورة بديعة في مضامين الأسلوب فيؤثّر في الروح لحسن الابتكار. والتّأثّر يُثْرِي الأدب العربيّ متعة فنّيّة لا يقدر على خلقها إلاّ الأدباء والشّعراء، ويدخل تحت إطار التّأثّر ما يسمّى بالتّناص الأدبيّ، وهو تداخل السّياقات ووجود علاقة بين نصّ قديم وآخر جديد. ولذلك لا يرى بعض الأدباء فرقًا كبيرًا بين الجديد والعتيق غير أنّ الجديد تطوّرٌ نَشَأَ عن القديم. وسوف يقف القارئ في هذا المقال على شيء من تأثّر القاضي عمر إبراهيم بغيره من شعراء العرب القدامى والمحْدثين، وكيف أثّر في الأدب العربيّ النّيجيريّ، ويتضمّن المحاور التّالية:

- نبذة عن حياة الشّاعر.
- مفهوم كلٍّ من التّأثّر والتّأثير.
- التّأثّر والتّأثير في الأدب العربيّ.
- التّأثر والتّأثير في شعر القاضي عمر إبراهيم.
- الخاتمة.
- الهوامش والمراجع.

نبذة عن حياة الشّاعر:

هو القاضي عمر بن إبراهيم بن أحمد بن عمر الوالي بن أحمد. ترجع ولادته إلى سنة 1922م في قرية تابعة لمدينة زَارِيَا -عاصمة مملكة زَكْزَكْ- تسمّى "رِشِفَا" في عهد الاستعمار الإنجليزيّ[1]، وهو من أسرة فلانيّة معروفة بالعلم والشّرف، قدِمت من ناحية "بُرنُو" واستقرّت في مدينة زَارِيَا. قيل إنّ جدّه الأعلى محمد فتحي كان ممّن تولّى القضاء بـ "كُوكَاوَا" في بلاد "بُرْنُو"، فانتقل ابنه أحمد من "بُرْنُو" إلى "زَارِيَا" في زمن الأمير محمد الثّاني 1847م-1854م. وكان والد عمر (الجدّ) -وهو والد جدّ عمر إبراهيم الأكبر- عالمًا جليلاً تولّى مناصب مختلفة في إمارة زَكْزَكْ؛ فقد شغَّل منصب "غَلاَدِيمَا" لغزارة علمه الدّينيّ وكثرة معرفته بالعربيّة. وأمّا جدّه عمر الوالي فقد انتشرتْ شهرته بآفاق بلاد زَكْزَكْ، بل يُعَدُّ من أفذاذ علماء نَيْجِيرِيَا على مرّ الزمان[2]. ولمّا جاء المقدور الإلهيّ تُوفِّي القاضي سنة 1997م عن عمر يناهز خمسة وسبعين، مخلِّفًا وراءه زوجتين وتسع بنات وابنًا واحدًا. رحمه الله وجميع المسلمين رحمة واسعة.

نشأ القاضي عمر إبراهيم في بيئة هوسويّة بمدينة زَارِيَا في شمال نيجيريا فقيد الأمّ فكفلتْه جدّته سودة بعد وفاة والدته سعادة بثلاثين يومًا لولادته، فهي الّتي خسر حنانها وتألّم من أجلها غاية التألّم، ولشدّة تأثّره بوفاتها قصّد سبع قصائد في رِثائها. ولا يمكن إدراك الشّعر غاية الإدراك إلاّ بعد معرفة البيئة الّتي نشأ فيها الشاعر؛ وكونه من مدينة زَارِيَا أتاح له ذلك فرصة التعلّم على أيدي العلماء الأمجاد، ابتداءً من أبيه الّذي كانت بداية الشّاعر العلميّة على يديه؛ فقد نهل الكثير من علومه ونال حظًّا غير قليل من نميره قبل أن يُلحِقه بالمدارس الأخرى؛ فبدأ دراسته الأوّليّة في الكُتَّاب عند معلِّم يَرُو-مؤذِّن المسجد الجامع بمدينة زَارِيَا في حارة "أَلْبَرْكَاوَا" فختم عنده القرآن الكريم. وفي عام 1938م التحق بالمعهد الخاصّ وتتلمذ على الشّيخ مَأَجِي إسحاق "كَاكَاكِي" حيث تعلّم العلوم الدّينيّة والعربيّة عنده حتّى صار بحرًا لا يُجارَى، ولم يدرس الإنجليزيّة إلاّ عن طريق الدّراسات المسائيّة باسم محو الأمّيّة، فتمكَّن من تعلُّم اللّغة الإنجليزيّة الّتي أنارت له الطّريق إلى الثّقافة الغربيّة في غضون سنتين فقط حسَبما أفادت المراجع ولم تذكر التّاريخ، حتَّى عُدَّ من أكبر الأعلام النّيجيريّين الّذين تثقّفوا بالثّقافتين: العربيّة الإسلاميّة والغربيّة في القرن العشرين بنيجيريا؛ يقول راجي: "وعلى أيدي مشايخها[3] تتلمذ عمر كغيره من أبناء المسلمين في الكُتَّاب[4]، والمعهد العلميّ الخاصّ، ولم يُرسَل إلى المدرسة الحكوميّة الّتي قامت بالمدينة بمجهود الدّكتور "ملّر" المبشّر المسيحيّ. ولكنّه استطاع أن يحضر مساقًا من الدّراسات الإنجليزيّة في المساء لمدّة سنتين اكتسب بعدها –على حدّ قوله- الشّعلة الّتي أنارت له دياجير الثّقافة الغربيّة فتشجَّع على سبر أغوارها"[5]. والْتحق بمدرسة القانون بـ "كَنُو" سنة 1938م حيث صار قاضيًا سنة 1942م بعد أربع سنوات، وقد تولَّى مناصب قضائيّة في مختلف المحاكم الشّرعيّة بشمال نيجيريا إلى آخر منصب استقال عليه عام 1985م.

تعرّض القاضي لأفكار النّهضة العربيّة وحركاتها التّجديديّة خلال السّنوات الأربع الّتي مكث فيها بمدرسة القانون، فتعمّق في العلوم الفلسفيّة والأفكار الغربيّة والحياة العِلمانيّة الّتي أثّرتْ في اصطباغه بمظاهر الحضارة الّتي عكّست في حياته[6]، فأصبح يرتدي ثوبًا جديدًا يختلف تمامًا عن مفاهيم البيئة[7]. وقد عمل مع إدارة البَيْطَرَةِ في قسم المواشي مُشْرِفًا لمدَّة لم تجاوز سنة كاملة وذلك عام 1938م، كما عمل مدرّسًا بمدرسة العلوم العربيّة بـ"كَنُو"، من سنة 1943م إلى 1946م قبل أن يشغّل منصب القاضي سنة 1964م، وبقي عليه أربعين سنة منتقلاً من مدينة إلى أخرى في بلاد شمال نيجيريا. فاتتْه فرصة التعلّم في الجامعة، فتألَّم لها وحزن حزنًا شديدًا، ولكنّه لم ييأس بل واصل بالمطالعة والمذاكرة الدّؤوبة حتَّى بلغ شأوًا كبيرًا في العلوم والمعارف أحسن ممّا فاته في الجامعة[8].

ومن منابع ثقافته بطون الكتب العلميّة، وكثرة السّفر والتّرحال إلى الأوطان والبلاد المختلفة كسفره إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة، وأسبانيا سنة 1960م، وبريطانيا سنة 1980م، وفيها زار قبر دَارْوِينْ، وسفره إلى مدينة شَكْسَبِير، وروسيا، كما زار لبنان، وسوريا، والمملكة العربيّة السعوديّة، وعدّة بلدان غرب إفريقيا وشمالها[9]. وأشهر إنتاجاته ديوانه المسمّى بـ"حديقة الأزهار" الّذي يتضمّن أعماله الشّعريّة والنّثريّة، أمّا الإنتاجات الشّعريّة فهي الّتي

قالها في مناسبات وأحوال مختلفة، وأمّا الإنتاجات النّثريّة فتشتمل على الفنون النّثريّة كالخطب، والمقالات العلميّة، والسّياسيّة. وفي آخر الدّيوان تقاريظ من علماء نيجيريا الّذين طالعوه؛ كالأستاذ الوزير جنيد، وهو الّذي سمّاه بـ"حديقة الأزهار". ويبلغ عدد صفحات الدّيوان 276 صفحة، متضمّنةً القصائدَ الّتي قالها في أغراض مختلفة قديمها وحديثها حسبما أوحتْ إليه العاطفة والظّروف الّتي وجد نفسه فيها. كما يشتمل على أشعاره الّتي قالها في الصّغر، إلى جانب ما نظم وهو في مدرسة الشّريعة، وبعد تخرّجه فيها[10].

مفهوم كلٍّ من التّأثّر والتّأثير:

كلمة التَّأَثُّر منْ تَأَثَّرَ يَتَأَثَّرُ تَأَثُّرًا، أي ظهر فيه الأثَر، وتأثّر بالشّيء تطبع فيه والشّيء تتبّع أثره، وأمّا كلمة التّأثير فمشتقّة منْ أَثَّرَ يُؤَثِّرُ تَأْثِيرًا، إذا ترك فيه أثَرًا[11]. والتّأثّر والتّأثير في الأدب العربيّ المقارن مصطلح نقديّ ينوب أحدهما عن الآخر في الدّلالة والمعنى، ويكون التّأثّر من الشّاعر الّذي تأثّر بثقافة غيره ثمّ يترك أثَرًا في المتلقّي، وأمّا التّأثير فينبعث عن عمل واحد أو مجموعة أعمال لأديب أو بلد تكشف آثاره وإشعاعاته عند الآخرين وتتسرّب إلى آداب أجنبية[12]، وهو تقليديّ لا يشعر به صاحبه عندما يقلّد شخصًا آخر.

التّأثّر والتّأثير في الأدب العربيّ:

كانت بلاد العرب قبل مجيئ الإسلام شديدة الصّلة ببلاد الفرس، وكانت الحيرة مملكة المناذرة خطًّ الاتصال بين العرب وغيرهم من الأعاجم[13]، ولما جاء الإسلام امتزجت ثقافة الفرس بثقافة العرب امتزاجًا كبيرًا ترك أثره في تبادل التّأثّر والتّأثير بين الأدبين: العربيّ والفارسيّ من حيث الألفاظ والأساليب والأجناس الأدبيّة والبحور الشّعريّة والصّور والأخيلة والمعاني والأفكار[14] . كما اتصلت العرب بالهنود عَبْرَ قنوات الاتصال التّجاريّ حتّى عرفوا السّيوف الهنديّة، وسمّوا بعض نسائهم بـ "هند". وقد أصبح بلاد الهند بلدًا إسلاميًّا بعد الفتح الإسلاميّ.

وأنتج ذلك الاتّصال تفاعلاً بين الأمم في إثراء الفكر والثّقافات وتنوّع الموضوعات حيث لا يمكن لأدب من الآداب أن يكون جامدًا لا يتأثّر بالمؤثّرات الخارجيّة، بل الآداب كائنات حيّة بينها من التّواصل والتّفاعل ما لا يخفى على النّاقد المتأمّل الموضوعيّ، ومما امتاز به الأدب العربيّ أنّ أصوله راسخة خصوصًا في العصر الإسلاميّ حيث تأثّرت دعائمه بكتاب الله وسنة رسوله الكريم، وحَفِظَ لغته من التّحريف والتّغيير والتّصحيف، ومع هذا كلّه فليس بمعزل عن التّأثّر بأدب الأعاجم الّذين انضمّوا إلى الإسلام في العصر العباسيّ الأول فكان لدخولهم تأثير كبير على لغة الأدب العربيّ، وعلى وضع النّحو العربيّ من قِبَلِ أبي الأسود الدّؤلي لظهور اللّحن في كلام العرب. وقد تأثّر العرب كثيرًا بألفاظ الفرس وأساليبهم، ومن بركة قضية التّأثّر والتّأثير نَقَلَ ابن المقفّع ثقافات الفرس وغيرهم إلى العربية، ونَظَمَ أبو سهل الفضل كتاب كليلة ودمنة، ومن ذلك وَضَعَ الرّافعي كتابه "آلام الوضع" تأثّرًا بالأدب الفرنسيّ[15]. كما أنّه تأثّر بالأدب الأوربيّ في جانب المعاني والأفكار. وفنّ التّأثّر والتّأثير قديم كقدم الإنسان لأنّه صفة إنسانيّة لا تنفصل عنه أبدًا، وهي مبدأ التّزاوج بين العلوم والمعارف والسّلوك بين النّاس، وبها يستقرّ النّوع الإنسانيّ، فلذلك هي ملازمة لشخصيّته ذكرًا كان أم أنثى. والشّعراء العرب تأثّروا بغيرهم من الشّعراء في القديم والحديث ثمّ أثّروا في أممهم بأعمالهم الأدبيّة.

التّأثّر والتّأثير في شعر القاضي عمر إبراهيم:

يمتاز شعر القاضي عمر إبراهيم بالتّصوير النّاطق بنفسيّة الشّاعر وبيئته النّيجيريّة الّتي وجد نفسه في أجوائها، وهي الّتي أصبحت الثّقافة الغربيّة والحياة العِلمانيّة تتغلّبان عليها شيئًا فشيئًا في جميع تصرُّفاتها، وتسود حياتها في جميع حركاتها وسكناتها، وذلك إثر حلول الاستعمار الإنجليزيّ. وكان الإنتاج الأدبيّ النّيجيريّ قبل القاضي عمر إبراهيم مصطبغًا بالصّبغة الإسلاميّة؛ أضف إلى ذلك أن الشّعراء والأدباء وقتئذٍ هم العلماء والفقهاء والقضاة

والأئمّة، واللّغة العربيّة الّتي بها يكتبون أشعارهم أصبحت مقدَّسة لا يستطيع الإلمام ببلاغتها وفصاحتها إلاّ أولئك السَّادة العلماء الّذين يعتقدون أنّ اللّغة العربيّة لغة القرآن الكريم ولغة المسلمين في الجنّة، لذلك توقَّفت الفنون الشّعريّة في تلك الحقبة من الزّمن على ما يتطابق مع روح الإسلام؛ فلا تكاد ترى عالمًا أو فقيهًا زاهدًا متورِّعًا يتغزّل كما يتغزّل امرؤ القيس، أو يمدح الخمر ويصفه كما يفعل أبو نواس. "فاقتصرت الموضوعات الشّعريّة على مدح أمراء المسلمين، ورِثاء المقاتلين المجاهدين في سبيل الله، والوعظ والإرشاد، والزّهد والورع والتّصوّف، ووصف الغزوات والبلاد وغيرها، وشعر المناسبات والتّعليميّ، والمديح النّبويّ، ومدح العلماء، كما أنّ فنون النّثر كانت قاصرة على الموضوعات النّثريّة القديمة كالخطب الدّينيّة الّتي تُلقى في الحفلات والمناسبات الدّينيّة كالأعياد والجُمَعِ لا يُلمّ بمضمونها إلا نزر قليل"[16].

وبمرور الأيّام وتعاقب الدّهور وردت الثّقافة الغربيّة إلى تلك البلاد فتأثَّر القاضي عمر إبراهيم ببعض تعاليمها، وبدأ الإنتاج الأدبيّ يتراوح بين التّقليد والتّجديد، وإن كانت أشعار القاضي لم يتمّ اصطباغها بالثّقافة الجديدة لأسباب كثيرة منها أنّ حركة التّجديد لم تزل فَتيَّة في البلاد، ولم يتمَّ تغيّر المنهج الدّراسيّ من المنهج التّقليديّ الفقهيّ إلى المنهج الغربيّ العلمانيّ التامّ التّحرّر في أوزانه وقوافيه، لذلك جاءت بعض أشعاره بالألوان الشّعرية القديمة في بحورها وأوزانها وقوافيها، فليس له شيء من الشّعر الحرّ بمعناه الفنّيّ.

ويمكن القول، إنّ من محاولاته التّجديديّة خروجه أحيانًا عن الموضوعات التّقليديّة، فمثلاً تراه يقول الشّعر في "السِّنْمَتُغْرَافْ"، و"القنبلة الذّرّيّة"، و"التَّلَسْكُوب" وغير ذلك من المستجدَّات الحديثة، كما مدح أعلام الحضارة الغربيّة كَشَكْسَبِير، و"دَارْوِينْ"، و"بَارْناد شُو"، و"طه حسين"، و"محمد عبده" وغيرهم. ومن تجديده في الشّعر نظمه في أمور لا تتماشى مع روح الإسلام، كنظمه في الاستعارة من الآلهة الرّومانيّة، فمثلاً يقول في قصيدة له بعنوان: "صوت من الوتين":

وكيف يضرّ الحسد صفوة حبّنا ... وقد صانه بالحفظ من عنده الحكم

لعنتم بما جئتم من المين حظّكم ... به البغض من (فَينُوسِ) والسّحق والإثم

وقوله:

أيا خلّ أنزل من رحيقك مشربًا ... أقبِّله قد راقني ذلك اللّثم

تمنّيت هذا اللّثم يمتدّ دائمًا ... ويبقى بقاء العمر بل فوق لا إثم

فنحيا معًا إن جاء موت نمت معًا ... نشاطر قبرًا يلثم العظم العظم

فذلك في دين الهوى خير ميتة ... إلى عرش (كُيُوفِيد) لذلكم نسمو[17]

تعرّض في شعره للقضايا الفلسفيّة، والفلك، والابتكارات الحديثة، وتأثَّر كثيرًا بالشّاعر الإنجليزيّ وِلْيَمْ شِكْسَبِير الّذي كان القاضي عمر يعتبر مجموعة أعماله كتابًا مقدَّسًا، كما تأثّر بشعراء العرب أمثال عبّاس محمود العقّاد، وحافظ إبراهيم، وأحمد شوقي، ومحمد عبده[18].

ومن مميّزاته الشّاعريّة الإكثار من استخدام الشّخصيّات الأسطوريّة، خصوصًا الآلهة كـ (فَينُوس) الّتي يقصد بها "إلهة الحبّ والجمال والخصب" في الدّين الرّومانيّ، ويستعرض ذلك لتأييد حديثه عن الحسّاد والمكدّرين صفو الحبّ بينه وبين محبوبه، فتأمَّل ذلك في قوله السابق.

ومن شاعريّته استطاعته على إدخال الشّخصيّات التّراثيّة في شعره، ومحاولته المزج بينها وبين الدّور الّذي قامت به، وامتصاص المعاني الشّعريّة من أشعارها، فهو شاعر التّأمّل والاستبطان والخيال، وكثير الإحالة إلى العبر، فيقول مثلاً:

حـــــياة هُودِيهُــــو كفــــت عبـــرة يتعـــــب يــــذوي مـــــات لا يهـــرق

حـــــياة غَنْـــــدِيجي كانـــت عبـــرة مــــات فقيــــرًا كـــــلّنا نعشـــــق[19]

حاول في البيتين السّابقين أن يربط المقابلة بين الغنى والفقر، فمثّل بالغنيّ بـ"هَاوْدِيهُوسْ مِلْيُونِيرْ أَمْرِيكِيّ" الّذي لم يستغرق زمنًا طويلاً في الحياة فمات بعد ما طُلِبَ للمشاهدة في المحكمة فأبى[20]، بينما عاش العِملاق الهنديّ "مُهَندَاس غانْدِي" حياة متواضعة حيث لا يملك من الدّنيا إلاّ كفافًا من العيش، ومع ذلك استطاع أن يؤثّر تأثيرًا كبيرًا في التّاريخ الهنديّ حيث جذب ملايين النّفوس بدعوته إلى إزالة الحواجز بين الطّبقات الاجتماعيّة الواحدة وبين الهندوس والمسلمين ومحاربة الاستعمار سلميًّا. وما أورد الشّاعر هذين البيتين إلاّ لمجرّد ذكر الشّخصيّات التّاريخيّة.

ومثله حديثه عن "الإسكندر الأكبر" الّذي ملك (ماقْدُونِيا) المشهور، وكان تلميذًا لأرسطو في معهد (لِيسِيم)، ولكن حكمة أرسطو لم تفده في كبح جماح طيشه، فمضى ينفذ في أصقاع الأرض يطيح بالبلاد والعباد، استمع إليه:

اســــكنْدَرُ الأَكْـــبَرُ لـــم يســـتفد بــــرغم قـــد هـــذّبه الحــــاذق

فـــــلا أَرِسْـــــطُو ولا لِيسِــــيم ينقـــذ مــــا يخطـــف ذا السّــــوذق[21]

وكذلك أشار إلى معاناة سَقْرَاط حيث قضي عليه بالموت بتهمة إغواء الشّباب وإغرائهم على الطّعن في الآلهة، فتناول السّمّ في الشّراب فمات شهيد السّمّ. وقد كان سَقْرَاط يجول في الشّوارع والأسواق يكلّم النّاس فلا يلتفت لحكمته أحد، لذلك شبّهه الشّاعر في وسط الأغبياء بباقل الغبيّ المضروب به المثل في الغباء عند العرب، تأمّل ذلك من الأبيات التّالية:

سَـــقْرَاطُ بـــين الأغـــبيا بــــاقل لا يفهمـــون الــــدهر مــــا ينطــــق

بـــل وجـــدوا مــــا قــــال ثقـــلاً لـــذا جـــــزاؤه ســـــمّ غـــــذي موبــــق[22]

كما يمزج أحيانًا بين الدّور الحقيقيّ للشّخصيّة والدّور الخياليّ لها، ويتمثّل ذلك في سياقه للشّاعر الأمويّ المعروف جرير، وعرضه للشّاعر الإنجليزيّ وَلْيَمْ شَكْسَبِير. حين يستدعي نعي المذياع بوفاته في البيت الأوّل، وأشار في البيت الثّاني إلى بديع الزّمان الهمذانيّ والحريريّ صاحبِي المقامات، وعبد الحميد الكاتب، أصغ إليه:

أبـــح مذيـــاع مــــا إســـم الفقيـــد أ (شُـــو) تعنـــي بـــه عــــين الفريـــد

(بـــديع) العصـــر فـــي ثـــوب (حريـــري) حميـــــدًا دونـــــه (عبـــد الحميـــد)[23]

هذا وغيره مما يشير إلى تمتّع الشّاعر بالأدبين: العربيّ والإنجليزيّ ما كوّن له شخصيّته الشّاعريّة. ومما تأثّر به القاضي عمر الدّين الإسلاميّ الّذي هو الرّائد في بيئته. ويرجع تاريخ دخوله إلى ما بين القرنين الحادي عشر والرّابع عشر الميلادِيَّيْنِ[24]، ويلمس الدّارس ذلك خلال مطالعته للدّيوان، فمثلاً، يجد ذلك في قصيدته المعنونة "إلى جدّتي سودة":

يذكّرنها كلُّ ظُهر ومغرب ... ووقت قيام اللّيل أو أذّنوا الفجرا
كذلك حين الوعظ إن قام واعظ ... وإن حان وقت الورد إن صلَّتِ العصرا
تذكّرنها إستشارة عاقل ... ووقت النّدى والصِّدق أو نهيها النّكرا[25]

ذكر الشّاعر هنا أنّه يتذكر جَدّته عند الأذان نهارًا، وعند قيام اللّيل، وحين صلاة الفجر، مشيرًا إلى أنّ جدّته كانت مقيمة للصّلاة في أوقاتها. وبيّن أنّها تحبّ الوعظ والإرشاد والعلم والدّرس، فإذا سمع واعظًا يعظ النّاس تذكّرها، ثمّ ذكر أنّه يتذكّرها عند دنوّ أوقات الذّكر لأنّها كانت محافظة على الأوراد دبر الصّلوات، وهذا باب من أبواب العقيدة الإسلاميّة، وهو الإيمان بالقضاء والقدر. فهذه الأفكار الدّينيّة كثيرة في بلاد زاريا، ولها دور بارز في تمسّك الشّاعر بدينه لتأثّره بالأعمال الصّالحة الّتي تقوم بها جدّته –رحمها الله-. ومن الآثار الدّينيّة في بيئة القاضي قوله في قصيدته المعنونة: "أجوبة –كي تشحّذ الدّماغ في أوان الفراغ":

الحمد لله الّذي قد علَّما ... بفضله العميم إسم آدما

وحثّ في البحث وفي اعتبار ... بـ (اعتبروا) و(يا أولي الألباب)

تفوق في التّعداد آي الفقه ... بيِّنه بلا سؤال فيه

(عن اليتامى والمحيض) و(الميسر) ... بـ (يسألون) أنزلت فاعتبر[26]

فيظهر تأثّره بتعاليم الدّين في الأبيات السّابقة ما ذكر فيها من مطالع الآيات القرآنيّة مثل قوله: (الحمد لله الّذي علّم آدم الأسماء) تلميحًا إلى قوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} سورة البقرة، الآية: 31، كما اقتبس من قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى} سورة البقرة، الآية: 220، وقوله تعالى: {ٿٺ ٹ} سورة البقرة، الآية: 222، وقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ} سورة البقرة، الآية: 219، فمرجعه في الأبيات هو القرآن الكريم.

وكما سبقتِ الإشارة إلى أنّ القاضي عمر من الّذين تأثّروا بالثّقافة الغربيّة تأثُّرًا كبيرًا، حتَّى لا تكاد تقرأ له قصيدة إلاّ وتشَمّ رائحة الحضارة الغربيّة فيها، فهو بحقّ من روّاد التّجديد الشّعريّ في غرب إفريقيا لأنّه حاز قصَب السّبق في تناول المخترعات الحديثة بالشّعر في نيجيريا، من جانب تطرّقه للمجالات التّكنولوجيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة،

ويتّضح هذا الكلام في وصفه لأحداث الحرب العالميّة الثّانية من الأبيات التّالية:

الحرب تتلو إثر ما ذهبت ... فتدمّر الأمصار بالجمر

وَحِجَارَةُ السِّجِّيلِ يَحْمِلُ فِي ... فَوْقِ الْهَوَاءِ يَسِيرُ كَالطَّيْرِ

لاَ اللَّيْلُ يمْنَعُ إِنْ أَرَادَ وَلاَ ... حَرٌّ هُجُومَ شَقِيقِهِ الْبَرِّ

بِالطَّائِـــــــــــرَاتِ وَبِالْبَنَـــــــــــادِقِ أَوْ دَبَّابَـــــــةٍ وَبِمَـــــــدْفَعٍ تَجـــــــرِي

وَبَوَاخَـــــــرٍ وَبِمـــــــا تَغُـــــــوصُ إِلَـــــى عُمْـــــقِ الْبِحَـــــارِ مُثِيـــــرَةَ الشَّـــــرّ

وَقَـــــدِ اعْـــــتَدَتْ وَطَغَـــــتْ وَمَـــــا حَكَمَـــــتْ حُكْـــــمَ الْمُـــــرُوءَةِ فِـــــي بَنِـــــى الْبَشَـــــرِ

بِقَنَابِـــــــــــلٍ ذَرِّيَّـــــــــــةٍ وَبِهَـــــــــــا إِذَا اسْـــــــتَمَرَّ نِهَايَـــــــةُ الأَمْـــــــرِ[27]

يشير إلى أنّ الحروب متواصلة بلا توقُّف، لأنّه منذ الحرب العالميّة الثّانية لم تهدأ الدّنيا للسّلام فقد استمرّتِ الحرب في فلسطين، والعراق، وسوريا، ولبنان، وبين إيران والعراق، وفي السّودان، وفي أفغانستان، وفي ليبيا وغيرها، وليس ما يحدث هنا وهناك في نيجيريا ببعيد. وإن كان الشّاعر لم يَعِشْ في هذه الأيّام ولكنّه استطاع أن يدرك آثارها المدمّرة للشّعوب من خلال تجاربه في الحياة ومشاكلها مستدلاً بالحرب العالميّة الثّانية لأنّه شاهد وقائعها وإن لم تقع في قارته. فتأمّل الكلمات الّتي تحتها خطّ؛ فقد أطلق الشّاعر عنانه فيها واصفًا للآلات الحربيّة العصريّة، وهي: الطّائرات الحربيّة، والبنادق، والدّبّابات، والمدافع،

والسّفن الحربيّة، حتّى وصل إلى القنابل الذّرّيّة الّتي تدمّر الأماكن والعباد والبلاد. فهذه الأبيات واضحة في تصوير تأثّر الشّاعر بالبيئة الثّقافيّة، لأنّ الشّاعر لم يزل يقارن ما يحدث في بلاده ودولته بما حدث في البلاد الّتي أثّرت فيها الحرب العالميّة ما تعدّى أثره إلى قارته إفريقيا، فهو بحقٍّ شاعر متحضّر عالميّ

الخاتمة

ظهر من هذا العرض الموجز أنّ الشّاعر الأديب القاضي عمر إبراهيم تأثّر بأدباء العرب والغرب كالمعري وشكسبير وغيرهما وأنّه كثيرًا ما كان يحاول محاكاتهم في الأسلوب والتّفكير والخيال، مع أنّه لم يعش في بلاد العرب ولا بلاد الغرب إلا أنّه بذل كلّ الجهد في الإتيان بالجديد في الشّعر العربيّ النّيجيريّ لتأثّره بالثّقافات المختلفة.

الهوامش والمراجع

1-ثالث عليّ صالح (الدّكتور)، **فنّ الرِّثاء في شعر القاضي عمر إبراهيم**، بحث مقدّم إلى كلّيّة الدّراسات العليا بجامعة عثمان فودي صُكُتُو، لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربيّ، 2006م، ص: 19.

2 -مسعود راجي (الأستاذ الدكتور)، **تقديم ديوان حديقة الأزهار**، قسم اللّغات النّيجيريّة والإفريقيّة، كلّيّة الآداب، جامعة أحمد بلّو، زاريا، 1994م، ص: 6.

3 -يعني مدينة زَارِيَا.

4 -وذلك في حارة أَلْبَرْكَاوَا، زَارِيَا.

5 -مسعود راجي(الأستاذ الدكتور)، **تقديم ديوان حديقة الأزهار**، المرجع السّابق، 1994م، ص: 6.

6-إبراهيم أحمد مقري، **ملامح التّشاؤم في شعر القاضي عمر إبراهيم**، مقالة نشرت في مجلّة هرشي(Harshe)، بقسم اللّغات النّيجيريَّة والأفريقيّة بجامعة أحمد بلّو، زاريا، العدد:2، 2004م، ص: 153.

7 -مسعود راجي(الأستاذ الدكتور)، **تقديم ديوان حديقة الأزهار**، المرجع السّابق، ص: 6.

8-بشير حسن أبوبكر (الأستاذ الدكتور)، **من سمات التّجديد عند القاضي عمر إبراهيم**، مقالة نشرت في مجلّة هرشي (Harshe)، بقسم اللّغات النّيجيريّة والأفريقيّة بجامعة أحمد بلّو، زاريا، العدد:5، بتاريخ: 2011م. ص: 197-199.

9 -مسعود راجي(الأستاذ الدكتور)، **تقديم حديقة الأزهار**، المرجع السّابق، ص: 7-8.

10-محمد خامس محمد، **التّشاؤم في أشعار القاضي عمر إبراهيم: دراسة أدبيّة وصفيّة**، بحث مقدّم إلى قسم اللّغة العربيّة، كلّيّة الآداب، جامعة أحمد بلّو، زَارِيَا لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربيّ، سنة: 2015، ص: 36-56.

11 -إبراهيم مصطفى وغيره، **المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية**، دار الدعوة، ج:1، ط: 1، ص: 5.

12 -ثامر سليمان الحامد، "**تأثّر الأدب العربيّ بالآداب الأخرى**"، مقال منشور على شبكة الألوكة، 2011م، ص:5.

13 -يوسف بو جلة، "**تأثر أدباء الفرس بالأدب العربي**" رسالة الماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية كلية الآداب بجامعة الجزائر، 2007م، ص:30.

14 -المرجع السابق، ص: 17.

15 -المرجع السابق، ص: 15.

16 -مسعود راجي، **تقديم ديوان حديقة الأزهار**، المرجع السّابق، ص: 8.

17 -عمر إبراهيم (القاضي)، **ديوان حديقة الأزهار**، المرجع السّابق، ص:39-40.

18 -مسعود راجي، **تقديم ديوان حديقة الأزهار**، المرجع السّابق، ص: 7.

19 -عمر إبراهيم (القاضي)، **ديوان حديقة الأزهار**، المرجع السّابق، ص: 136.

20 -المرجع السّابق، والصّفحة نفسها.

21 -عمر إبراهيم (القاضي)، **ديوان حديقة الأزهار**، المرجع السّابق، ص: 118.

22-المرجع السّابق، ص: 126.

23 -عمر إبراهيم (القاضي)، **ديوان حديقة الأزهار**، المرجع السّابق، ص: 65.

24 -المرجع السّابق، والصّفحة نفسها.

25 -عمر إبراهيم (القاضي)، **ديوان حديقة الأزهار**، المرجع السّابق، ص: 22.

26 -عمر إبراهيم (القاضي)، **ديوان حديقة الأزهار**، المرجع السّابق، ص: 73.

27 -عمر إبراهيم (القاضي)، **ديوان حديقة الأزهار**، المرجع السّابق، ص: 31-32.

Abstract: The Concept of Affection and Effect exist in all aspects of human life. Indeed, any environment surrounding the poet is one of those effects that have a prominent role in the formation of his literary work. Similarly, the Nigerian poet environment does not differ from other environments in West African region in terms of religion and culture. The poet Alkali Umar Ibrahim is one of the Nigerian poets who have been affected greatly and influenced by Western culture, you hardly read his poems until you see some of the features of Western civilization, Indeed, therefore, he is one of the pioneers of the poetic renewal in West African poetry, since he defeated others in dealing with modern poetic inventions apart from technological, political and economic aspects that he had treated. As such, he is influenced by the religion of Islam which is the major religion in the northern part of the country. Therefore, the aim of the paper is to state some of the features of this phenomenon which has worked in the poet, in the sense that it is one of the powerful influences on his approach to poetry and genius. The article began with introduction and brief biography of the poet, and then talked about the issue of affection and effect that had shaped his poetic experience, and then marked the conclusion, margins and references.